تفسيرُ سورةِ « الكافرون »

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه وتقدَّست أسماؤُه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ - وكان المشركون مِن قومِه فيما ذُكر عَرَضوا عليه أنْ يعبُدوا اللَّهَ سَنةً ، على أنْ يَعْبُدَ نبيُّ اللَّهِ ﷺ آلهتَهم سنةً ، فأنزَل اللَّهُ مُعَرِّفَه جوابَهم فى ذلك - : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ المشركين الذين سألوك عبادةَ آلهتِهم سنةً ، على أنْ يَعْبُدوا إلهَك سنةً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ باللَّهِ ، ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ مِن الآلهةِ والأوثانِ الآنَ ، ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ الآنَ ، ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ ﴾/ فيما أَستقْبِلُ ، ﴿ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ فيما مضَى ، ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ ﴾ فيما تَستَقْبلون أبدًا ، ﴿ مَآ أَعْبُدُ ﴾ أنا الآنَ وفيما أستقْبِلُ . ٣٣١/٣٠

وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأنَّ الخطابَ مِن اللَّهِ كان لرسولِه ﷺ فى أشخاصٍ بأعيانِهم مِن المشركينِ ، قد عُلِم أنهم لا يؤْمِنون أبدًا ، وسبَق لهم ذلك فى السابقِ مِن علمِه ، فأمَر نبيَّه ﷺ أن يُؤْيِسَهم مِن الذى طَمِعوا فيه وحدَّثوا به أنفسَهم ، وأنَّ ذلك غيرُ كائنٍ منه ولا منهم فى وقتٍ مِن الأوقاتِ ، وآيَس نبيَّ اللَّهِ ﷺ مِن الطمعِ فى إيمانِهم ، ومِن أنْ يُفْلِحوا أبدًا ، فكانوا كذلك لم يُفْلِحوا ولم يُنْجِحوا ، إلى أنْ قُتِل بعضُهم يومَ بدرٍ بالسيفِ ، وهلَك بعضٌ قبَل ذلك كافرًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ ، وجاءت به الآثارُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ موسى الحَرَشِيُّ ، قال : ثنا أبو خلفٍ ، قال : ثنا داودُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : إنَّ قريشًا وَعَدُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يُعطُوه مالًا فيكونَ أَغْنى رجلٍ بمكةَ ، ويُزوِّجوه ما أراد مِن النساءِ ، ويَطَئوا عَقِبَه ، فقالوا له : هذا لك عندَنا يا محمدُ ، وكُفَّ عن شتمِ آلهتِنا ، فلا تَذْكُرْها بسوءٍ ، فإن لم تَفْعَلْ ، فإنا نَعْرِضُ عليك خَصْلَةً واحدةً ، فهى [٢/١١٤٤و] لك ولنا فيها صلاحٌ . قال : « ما هى ؟ » . قالوا : تعبُدُ آلهتَنا سنةً ؛ اللَّاتَ والعُزَّى ، ونعبُدُ إلهَك سنةً . قال : « حتى أَنْظُرَ ما يأتى مِن عندِ ربِّى » . فجاء الوَحْىُ مِن اللَّوحِ المحفوظِ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ السورة ، وأنزَل اللَّهُ : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1] [الزمر : ٦٤- ٦٦] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى سعيدُ ابنُ مِينا مولى البَخْتَرِىِّ[2] ، قال : لقِى الوليدُ بنُ المغيرةِ ، والعاصُ بنُ وائلٍ ، والأسودُ بنُ المطلبِ ، وأميَّةُ بنُ خلفٍ ، رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا محمدُ ، هلُمَّ فلنعبُدْ ما تعبُدُ ، وتعبُدْ ما نعبُدُ ، ونَشْرَكْك فى أمرِنا كلِّه ، فإن كان الذى جئتَ به خيرًا مما بأيدِينا ، كنا قد شَرَكناك فيه ، وأخَذْنا بحظِّنا منه ، وإنْ كان الذى بأيدِينا خيرًا مما فى يدَيك ، كنتَ قد شَرِكْتَنا فى أمرِنا ، وأخَذْتَ منه بحظِّك . فأنزَل اللَّهُ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/ ٣٣٧، وأخرجه الطبرانى فى الصغير ١/ ٢٦٥ من طريق أبى خلف به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٠٤ إلى ابن أبى حاتم .

(٢) فى تاريخ المصنف : « مولى أبى البخترى » . وهو البخترى بن أبى ذباب كما فى ترجمة سعيد بن مينا . ينظر تهذيب الكمال ١١/ ٨٤.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ . حتى انقضَتِ السورةُ[١] .

وقولُه : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : لكم دينُكم فلا تَتْرُكونه أبدًا ؛ لأنه قد خُتِم عليكم ، وقضَى ألا تَنْفَكُّوا عنه ، وأنكم تموتون عليه ، ولىَ دينى الذى أنا عليه ، لا أَتْرُكه أبدًا ؛ لأنه قد مضَى فى سابقِ علمِ اللَّهِ أنى لا أنتقِلُ عنه إلى غيرِه .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . قال : للمشركين . قال : واليهودُ لا يعبُدون إلا اللَّهَ ولا يشركون ، إلا أنهم يكفُرون ببعضِ الأنبياءِ وبما جاءوا به مِن عندِ اللَّهِ ، ويكفُرون برسولِ اللَّهِ وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وقتَلوا طوائفَ الأنبياءِ ظلمًا وعُدْوانًا . قال : إلا العِصابةَ التى بَقُوا حتى خرَج بُخْتُنَصَّرَ ، فقالوا : عُزيرٌ ابنُ اللَّهِ ، دَعِيٌّ[٢] اللَّهِ . ولم يعْبُدوه[٣] ولم يَفْعلوا كما فعَلتِ النصارى ، قالوا : المسيحُ ابنُ اللَّهِ . وعبَدوه .

٣٣٢/٣٠ /وكان بعضُ أهلِ العربيةِ[٤] يقولُ : كرَّر قولَه : ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وما بعدَه على وجْهِ التوكيدِ ، كما قيل : ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح : ٥، ٦] . وكقولِه : ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٦، ٧] .

آخرُ تفسيرِ سورةِ « الكافرون »

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/ ٣٣٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٠٤ إلى ابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف ، وينظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٢.

(٢) فى النسخ : « دعا » . والمثبت هو الصواب إن شاء الله .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يعبدوا » .

(٤) هو الفراء فى معانى القرآن ٣/ ٢٨٨ .